مجلة تدبر





البحث الأول

وَسَائِلُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

لُبْنَى بِنْت خَالِد بْن مُحَمَّدٍ العَرْفَج

باحثة بمرحلة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

حاصلة على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بأطروحتها: بتحقيق كتاب: (الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي، من أول تفسير الآية الواحدة والثمانين من سورة التوبة، حتى نهاية تفسير الآية الرابعة والعشرين من سورة يونس).

النتاج العلمي:

بحث آراء أحمد بن جعفر الدينوري (ت: ٢٨٩هـ) وأقواله في الوقف والابتداء - جمعًا ودراسة - مجلة تبيان للدراسات القرآنية (العدد: ٣٠) ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

البريد الإلكتروني: lubnakma@hotmail.com



مستخلص البحث

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوءِ على مفهوم تزكية النفس، وبيان مكانتها بين مقاصد القرآن الكريم، ويكشف عن ثمراتها، ويُعنَى بذكر وسائلِ تزكية النفس الواردةِ في القرآن الكريم، ويربطَها بمقاصده وَفق المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي.

ويستعرض البحث في خاتمته أهمَّ النتائج، ومنها:

أولًا: عِظَمُ مكانة التزكية وموقعها بين مقاصد القرآن الكلية؛ حيث كانت من مقاصد بعثة الأنبياء والرسل، مرتبطة بها.

ثانيًا: تعددُ ثمراتها ونفعها على العبد في دينه ودنياه وآخرته.

ثالثًا: تتلخص وسائل تزكية النفس كما وردت -صريحة- في القرآن الكريم في تسع وسائل، وهي:

أ- توحيد الله ﷻ. ب- الاستجابة لأحكام الله.

ج- الصلاة والذكر.

د- تلاوة القرآن وتدبره، وتعلم الحكمة وتفهمها.

هـ- التوبة. و- بذل الصدقات.

ز- عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.

ح- عدم الثناء على النفس وتبرئتها. ط- عدم اتباع خطوات الشيطان.

ثم خُتم البحث بكشّافين اثنين يُعينان القارئ على بُغيته.

الكلمات المفتاحية: التزكية، تزكية النفس، أدب النفس، تربية النفس، وسائل التربية، أمراض القلوب.



المقدمة

الحمـد للهِ منـزلِ الكتـاب، والصلاةُ والسـلام على معلِّـم الآداب، نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه ما جاد السحاب،

أما بعدُ:

فقد خلق الله ﷻ العباد، ولم يتركْهم هملًا، وشرَّع لهم في دينهم وأنفسهم ما يُكملُ فِطَرهم، ويرقى بأرواحهم، وأبان لهم طريقَ الرشاد، وجعل في محكم تشريعه مقاصدَ عظيمة، تكفُل للمرء -إن حفِظها- قيامَ مصالح دينه ودنياه معًا.

ولَمَّا كانت نفس المرء أغلى ما يملِك، وكان صلاحُها فلاحًا، وفسادُها خسارًا، وحياتُها دون تزكية كحياة البهائم؛ جعَل الله تزكيةَ النفس وتطهيرَها أحدَ المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية، وأقام عليها جملةً من الأحكام والآداب؛ فتحًا لأبواب الخير، وسدًّا لأبواب الشر والفساد، وشرَّع في تزكيتها وسائلَ مخصوصة؛ سالكًا بها منهجًا قويمًا لا اعوجاجَ فيه ولا حياد.

ولـمَّا كان أمر تزكية النفس مما غاب أو قلَّ الحديثُ عنه، في عصر طغت فيه المادةُ، وتسابق كثيرٌ من الناس بالانشغال بإتراف أجسامهم وإهمالِ تزكية أرواحهم؛ كانت الحاجةُ إلى معرفة الوسائل التي تتحصلُ بها تزكيةَ النفسِ وتُوصِل إلى الله شديدةً؛ واختارت الباحثةُ هذا الموضوعَ؛ رغبة في التذكير بأهمية تزكية النفس، والتنويه بأنه منهج قرآني ينبغي الالتفات إليه، والعمل بمقتضاه؛ خاصة لمن كانت له عنايةٌ بنفسه، وطلبَ لها من الأسباب والوسائل ما يصلُ بها إلى طريق الرشاد، ويبلغُ بها غايتَه.



۞ مشكلة البحث:

على الرغم من أهمية موضوع التزكية في القرآن الكريم وتنوُّع الدراسات حولها، إلا أن الباحثة لم تجد مَن قصد دراسة تزكية النفس في القرآن الكريم أو وسائلها بصفتها مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم وعلاقتها بمقاصد القرآن الأخرى، ومن هنا رأت الباحثة الكتابة في هذا الموضوع؛ للإجابة عن الأسئلةِ الآتية:

ما مفهوم تزكية النفس؟ وما مكانتها في القرآن الكريم؟ وما الوسائل التي تتزكَّى بها النفس مما دل عليها القرآن الكريم في تزكية النفس؟ وما ثمراتها؟ وهل تُحقِّق التزكية مقاصد قرآنية؟

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عناية القرآن الكريم بتزكية النفس، ومكانتها بين مقاصده الكبرى.

٢- أهمية التزكية في إصلاح الفرد والمجتمع والغفلة عن تطبيقها أو الحديث عنها.

٣- شدة الحاجة إلى التزكِّي قولًا وعملًا.

٤- التطلع إلى سد حاجة المكتبة الإسلامية في هذا الموضوع، ودراسته دراسة موضوعية، مبينة علاقته بالمقاصد القرآنية.

۞ أهداف البحث:

١- بيان مفهوم التزكية وفق الرؤية القرآنية.

٢- الكشف عن قيمة تزكية النفس ومكانتها بوصفها مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم.

٣- بيان ثمرات تزكية النفس كما وردت في القرآن.

٤- التعرُّف على وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن الكريم.



٥- ربط وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن بالمقاصد القرآنية.

٦- بثُّ قيمة تزكية النفس وتفعيلها في حياة المسلمين أفرادًا وجماعات.

حدود البحث:

يقتصِر البحث على دراسة وسائل تزكية النفس الواردة في القرآن الكريم صراحةً دراسة موضوعية وعلاقتها بمقاصد القرآن الكريم، دون دراسة ما يتعلَّق بتزكيتها ضمنًا أو بالمال (الزكاة الواجبة).

الدراسات السابقة:

تنوَّعت الدراسات المتعلقة بالتزكية تنوُّعًا متفاوتًا، فبعضها خُصَّ بالتزكية عند عالِم من العلماء، أو بالقصص القرآني، أو على المستوى الصحي والطبي، أو في المجال الفلسفي، أو في المجال التربوي، أو في المجال الدعوي، أو غير ذلك، وغالب ما عُنْوِن بدراسة التزكية دراسة موضوعية -في تخصُّص الدراسات القرآنية- جاء مقيَّدًا بمجال مما سبق ذِكْرُه أو غيره، غير أنه يمكن أن يُقال: إن دراسة واحدة منها جاءت بعنوان عام، وهو: **(تزكية النفس في القرآن الكريم.. دراسة موضوعية)**، لكن اتجاه مضمون البحث كان تربويًّا، وقد أشار الباحث إلى هذا الاتجاه في مقدمته.

وهي رسالة قُدِّمت لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز الحاجي، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان، للعام الجامعي ٢٠١٤م.

وعلى الرغم من تنوُّع الدراسات حول تزكية النفس -كما سبق بيان ذلك- إلا أنه لم يُبْحَث في وسائل تزكية النفس في القرآن وعلاقتها بمقاصد القرآن الأخرى خاصة؛ ولذا وقع الاختيار عليه لأهميته.



منهج البحث وإجراءاته:

يسيرُ هذا البحثُ وفقَ منهجين أساسيين:

المنهج الأول: الاستقرائي: وذلك بتتبُّع الآيات التي صرَّحت بذِكْر وسائل التزكية، واستخراج تفسيرها من كتب التفسير، وتعضيدها بآثار من السنة الشريفة، وانتقاء الهدايات القرآنية من كلام أهل العلم وكتبهم.

المنهج الثاني: التحليلي الاستنباطي: وذلك بإبراز المقاصد القرآنية، وربطها بوسائل تزكية النفس القرآنية، وتوضيحها، واستنباط الهدايات منها.

خطة البحث:

تتكوَّن خطة البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: واحتوت على مشكلة البحث، وأهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم التزكية ومكانتها وثمراتها: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التزكية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مكانة التزكية وثمراتها.

المبحث الثاني: وسائل تزكية النفس العقدية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الله عز وجل.



المطلب الثاني: الاتّعاظ بأحكام الله وتطبيقها.

المبحث الثالث: وسائل تزكية النفس التعبدية: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصلاة والذِّكْر.

المطلب الثاني: تلاوة القرآن وتدبُّره، وتعلُّم الحكمة وتفهُّمها.

المطلب الثالث: التوبة.

المطلب الرابع: بَذْل الصدقات.

المبحث الرابع: وسائل تزكية النفس الأخلاقية: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.

المطلب الثاني: عدم الثناء على النفس وتبرئتها.

المطلب الثالث: عدم اتباع خطوات الشيطان.

الخاتمة، وفيها أهمُّ النتائج.

ثم خُتِم البحث بكشاف للموضوعات وثبت للمصادر.

واللهَ أسأل التوفيق والسداد والرشاد، هو حسبي ونعم الوكيل، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.





المبحث الأول

مفهوم التزكية ومكانتها وثمراتها

المطلب الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح:

➤ **التزكية في اللغة**: النَّمَاء والزيادة والطهارة.

قـالَ ابنُ فـارسٍ[(١)]: «والأصلُ في ذلك كلـه راجع إلى هذيـن المعنيين، وهما: النَّمَاء والطهارة»[(٢)].

وقد تعدَّدت استعمالاتُهما في العربيةِ على معانٍ عدةٍ؛ فمن ذلك:

أولًا: الطهارة والتطهير، ومنها:

١- **تزكيةُ الشَّـاهِد**: أي: تطهيـرُه من عوارِض القَـدْح، أَو تَقْوِيتُه وتأْييده بِذِكْـر أَوْصَافـه الدَّالَّة على عدالتِه[(٣)]. وكـذا قيل: زكَاة المـال؛ أي: تطهيره[(٤)]، وسُميت زكاة؛ لأنها طهارة[(٥)]، والفعل منها: زكَّى يُزَكِّي تَزْكِيَةً[(٦)].

٢- **المدح**: يُقال: زكَّى نفسَه تزكيةً؛ أي: مَدَحها، وزكَّى الرجلُ نفسَه؛ إذا وصفَها وأَثْنَى عليها[(٧)].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزويني. اللغوي. توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمئة. ومن مصنفاتـه: (كتاب المجمل في اللغة)، و(كتـاب مقاييس اللغة)، و(كتاب الانتصـار لثعلب). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (١/ ٣٥٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).

(٣) تاج العروس، للزبيدي (١/ ٩١- المقصد العاشر).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).

(٦) تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).

(٧) ينظر: لسـان العرب، لابن منظـور (٢١/ ١٨٤٩)، (ز ك ا). تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٣)، (ز ك و).



٣- الصلاح: يُقال: زَكا الرجلُ يَزْكُو إذا صَلُح، والزكاةُ: الصلاح، وقيل: العمل الصالح[١].

٤- صفوة الشيء: قيل: الزكاة: صفوة الشيء[٢].

ثانيًا: الزيادة والنماء، ومنها:

١- النمو والبركة: يُقال: زَكَا الزرعُ يَزْكُو، وأَزْكَاه الله -تعالى- تَزْكِيةً؛ أي: أَنْمَاه وجعل فيه برَكة[٣].

٢- الزيادة والسِّمَن: فكلُّ شيءٍ يزداد ويَسْمَن فهو يَزْكُو زكَاءً[٤]، ومنه سُمِّيَتْ زكاة المال؛ لأنها مما يُرْجَى به زَكَاءُ المالِ، وهو زيادته ونَمَاؤُه[٥].

➢ **التزكيةُ في الاصطلاح:** تعدَّدَتْ عباراتُ أهل العلمِ في تعريف التزكيةِ اصطلاحًا تعدُّدًا يُفيد معنًى متقاربًا[٦]، ولعل من أجمعها أن يُقال: هي إنماءُ النفسِ بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم؛ باكتساب الفضائلِ، وتطهيرها باجتناب الرذائلِ[٧].

ويمكن أن يُضاف إليها: بأن يكون ذلك وفقَ الوسائل الشرعية المقرَّرة في الكتاب والسنة، تعبُّدًا لله وإخلاصًا، وتأسِّيًا بالنبي ﷺ واقتداءً.

(١) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٠)، (ز ك و).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٧/ ١٢٦)، (ز ك و).
(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٢٠)، (ز ك و).
(٤) تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/ ٣١٩)، (ز ك ا).
(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ١٧)، (ز ك ى).
(٦) ينظر مثلاً: الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤). المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (٣/ ١٣٢).
(٧) ينظر: التعريفات، للجرجاني (١٨٩). التوقيف على مهمات التعريف للحدادي (٩٦، ٢٨٦).



والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، وهي في المعنى الاصطلاحي أَخَصُّ؛ فهي في المعنى اللغوي عموم التطهيرِ والإنماء، وفي المعنى الاصطلاحِي تطهيرُ النفسِ خاصة؛ وذلك بنفِيها عن كل نقيصة ورذيلة، وتنميتِها بالزيادةِ في وجوه الخيرِ والبِّر والفضيلة.

۞ المطلب الثاني: التزكية في القرآن الكريم:

إن المتأمل في آياتِ القرآن الكريم مكِّيِّها ومدنيِّها يجد كثرةً لافتةً في الاهتمامِ بتزكية النفس ضمنًا أو تصريحًا، فلا يكاد يُقلِّب عينيه إلا وجد أمرًا يُعِينه على الخير، أو نهيًا يَكُفُّه عن الشر، أو تذكِرةً تَسُوقه إلى عِبرةٍ وموعظة، أو قصةً تَهدِيه إلى أُسوةٍ وقدوة؛ تحصيلًا للتزكية، وإرشادًا لسلوكِ طريقِها، وتحقيقًا لكثير من مقاصد القرآن الكريم من خلالِها.

ومما يدل على ذلك: وُرُود مادة (ز ك ا) صراحةً في القرآن الكريم في سبعة عشر اشتقاقًا، في تسعٍ وخمسين آية، تناول البحث منها اثنتين وعشرين آية، سوى الكثرة الكاثِرة من الألفاظ المتقاربة والمعاني المضمَّنة التي أبانت عن أهمية التزكية ومكانتها، وكشفت عن وسائلها وثمراتها.

وقد وردَت التزكية في القرآن على وجوه عدة، منها[1]:

أولًا: أداء الزكاة الشرعية: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أي: زكاة المال المفروضة.

---

(١) ينظر: الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان (٧٠). الوجوه والنظائر، لهارون بن موسى (٨٦). الوجوه والنظائر، للدامغاني: (٢٤٩– ٢٥٠). المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (١٣٤– ١٣٥). المعجم الاشتقاقي المؤصل، لمحمد حسن جبل (٩٠٨).



ثانيًا: الصلاح والصيانة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، «أي: تُصلحهم بها»(١).

ثالثًا: الحلال: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]، أي: طيِّبًا حلالًا، لا يُسْتوخَم عُقباه(٢).

رابعًا: الصدقة: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

خامسًا: الثناء والمدح وتبرئة النفس: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، أي: لا تنسبوها إلى الزكاء: تظاهُرًا بالصلاح وزيادة الإيمان تمدُّحًا وتفاخرًا(٣).

سادسًا: التوحيد والشهادة: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٧]، أي: لا يُوحِّد فيتطهَّر من الكفر ويُسْلِم(٤).

سابعًا: الطهارة من الذنوب والمعاصي والأخلاق الرذيلة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

وخلاصة الأمر: إن عموم مفهوم التزكية في القرآن الكريم -بتعدُّد أوجهه واشتقاقاته- لم يخرج عن المعنى اللُّغوي المتضمن معنى التطهير أو الإصلاح، والإنماء والزيادة.

---

(١) الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان: (٧٠). الوجوه والنظائر، لهارون بن موسى: (٨٦).
(٢) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٤٥).
(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، لمحمد حسن جبل (٩٠٨).
(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ١٠٧). الوجوه والنظائر، للدامغاني (٢٥٠).



وهـو ما يُطلِق عليه بعض العلماء: (التخليـة والتحلية)[1]؛ حيث جاءت الآيات متضمِّنة وسائل التطهير والتنقية، ووسائل الزيادة في وجوه الخيرِ والبرِّ؛ متمِّمةً جوانب تزكية النفس من جميع وجوهها.

وتزكيةُ الإنسانِ نفسَه في القرآن الكريم على ضربين[2]:

الضـرب الأول: التزكيـة بالفعل، وهـو محمود، وإليه قُصِـد بقولِه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

الضـرب الثـاني: التزكية بالقول، وهو مذموم، وقد نهى الله -تعالى- عنه بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].

وسيأتي بيان ما يتعلق بذلك -إن شاء الله تعالى- في المبحث الرابع في موضعه[3].

المطلب الثالث: مكانة التزكية وثمراتها:

تتبـوَّأ التزكية مكانة عَلِيَّة في القرآن الكريم؛ فهي من أعظم مقاصد القرآن الكريـم وأسـماها، وقد قرنهـا الله ﷻ بتعليم الكتـاب والحكمـة[4] في غير ما موضـع مـن كتابه الكريم، ففي معرض الامتنان يقـول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[5] [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) ينظر مثلاً: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (١/ ١١٥). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٧٧).

(٢) ذكرهما الراغب الأصفهاني في (المفردات)، ينظر: (٣٨١).

(٣) ينظر: (٦٩)، من هذا البحث.

(٤) والمراد بها: السنة، ينظر: جامع البيان، للطبري (٦/ ٢١٢).

(٥) ونظائرها في القرآن: آية (١٢٩) من سورة البقرة، وآية (١٥١) من السورة نفسها، وآية (٢) من سورة الجمعة.



فقد جاءت التزكية مقترنة بالكتاب والحكمة؛ في إشارة إلى جلال مكانتها، وأنها إحدى المهام المنوطة بالنبي ﷺ المذكورة في الآيات؛ من تلاوةٍ للآيات، وتعليمٍ للكتابِ والحكمة، وتزكيةٍ لنفوس الأمة.

وفي إظهارِ شرفِ التزكية وطهارة الأخلاق، وأنها لا تُنال إلا بمجاهدة -لكون النفس أميل شيء إلى الدنس، فلا تنقاد إلى أحسن تقويم إلا باجتهاد عظيم-؛ قدَّمها على تعليم الكتاب والحكمة في بعض مواضع القرآن الكريم -كما في هذا الموضع- ليُقْبِل التَالِي والسَّامِع على ما جاء من العِلم في الكتاب والحكمة، ويتزكَّى بما أتى فيهما(١)، وللإيذان بأن كل واحدةٍ من هذه الأمور الثلاثة نعمةٌ جليلةٌ على حيالِها، مستوجبةٌ للشكرِ(٢).

وفي بيانِ عظيمِ مَقام التزكية أقسم الله ﷻ في القرآن الكريم بأطول قَسَمٍ فيه، فأقسم بأحد عشر قَسَمًا متواليًا على أن فلاح العبد بتزكية نفسه، وخسارَه وخيبته بتدسية نفسه، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] إلى أن قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

وقد كان مِن دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(٣).

ولَـمَّا كانت تزكيةُ النفس بهذه المثابة؛ من المنزلة الرفيعة، والخِصَال الحميدة التي يتنافس فيها أولوا الألباب، وكانت طُهْرَةً للنفسِ مِن دَنَسِ الكفر

---

(١) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢/ ١٦٢)، (١٦/ ٣٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (١/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٨٨-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل/ ح٢٧٢٢).



والطغيان، إلى نور الإيمان والعمل الصالح[1]؛ نوَّع القرآنُ الكريم في بيان وسائلها وطُرُقِها في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ ترغيبًا للإقبال، وتأكيدًا للامتثال؛ في دلالةٍ واضحة على أنه ينبغي على المسلم أن يعتنيَ عناية خاصة بتزكية نفسه وتهذيبها، وأن يَسلُكَ في ذلك كلَّ الوسائل والسُّبل التي شرعها الله -تبارك وتعالى- وأرشد إليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ لينالَ مقصوده، ويبلُغَ غايتَه[2].

وإنما قصد القرآنُ إلى التزكية، وجعلها من أهم مقاصده وأسماها؛ لقصد تطهير النفوس بما يصيرُ الإنسان مستحقًّا بها في الدنيا للأوصاف المحمودة، وفي الآخرة للأجر والمثوبة[3].

وإن من أكثر البواعث على الاجتهاد في العمل، والجدِّ في الطاعة؛ الدوافعَ والثمراتِ المترتبةَ عليها، ولهذا جاء القرآنُ الكريم والسنة الشريفة بنصوص وافرة في بيان ثمرات التزكية؛ تنشيطًا للنفس بأن تُسارع إلى ما فيه مرضاةُ ربها، ودفعًا لها لأن تنقادَ وتنزجرَ.

ومن أهم ثمرات تزكية النفس ما يلي:

١- تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة:

يقول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

[الشمس: ٩- ١٠]

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٩٠٩).
(٢) وبيانها فحوى المباحث التالية، وهي لب البحث وأساسه، ينظر: (٤٥)، من هذا البحث.
(٣) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٨١).



قال الغزالي[1]: «فلا يصلح لِمُلكِ الآخرة ونعيمها ولا القُرب من ربِّ العالمين إلا قلبٌ سليمٌ، صار طاهرًا بطولِ التزكيةِ والتطهير»[2].

يقول الله -تعالى-: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤]؛ أي: نجا من العقاب ونجح وأدرك طُلْبَتَه مَن بَذَل استطاعته وجهده في تزكية نفسه وتطهيرها عن كل ما لا ينبغي من الكفر والمعاصي والأخلاق الرديئة، وتكثَّر من التقوى واستزاد من الخير والبِرِّ والفضيلة[3].

ويقول ﷻ: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨]، أي: إنَّ تزكيته لنفسه عائدة منفعتها عليه، فإن زكَّاها وطهَّرها؛ نال الفوز والفلاح.

٢- بلوغ مقام الهداية إلى الحق ونيل فضل الله -تعالى- ورحمته:

يقول ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

[الجمعة: ٢]

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي. الفقيه. توفي سنة خمس وخمسمئة. ومن مصنفاته: (إحياء علوم الدين)، و(كتاب الأربعين)، و(القسطاس). ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١١/ ٦٢- ٦٣).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٤٤).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٣١٨). مفاتيح الغيب، للرازي (٣١/ ١٣٦- ١٣٧). التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٢٨٧- ٢٨٨).



وفي هذا حثٌّ على تزكية النفسِ بالابتعاد جَهْد المستطاع عن المعصية وارتكاب الأوزار والآثام، والسعي إلى تحقيق الإيمان والتوبة النصوح؛ لينال تزكية الله له بتوفيقه وهدايته إلى الحق والعمل الصالح، وقبوله منه تفضُّلًا منه ورحمة[1].

٣- قبول التوبة:

يقول عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٣- ١٠٤].

يقول ابن تيمية[2]: «وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ دليلٌ على أن عمل الحسنات يُطهِّر النفس ويزكِّيها من الذنوب السالفة، فإنه قال هذا بعد قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية وما بعدها، فالتوبة والعمل الصالح يحصل بهما التطهير والتزكية، ولهذا قال في سياق قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠- ٣١] فأمرهم جميعًا بالتوبة في سياق ما ذكره من الأمر بِغَضِّ البصر وحِفْظ الفَرْج»[3].

فلما جعل سبحانه قبول التوبة عَقِبَ الأمر بِبَذْلِ الصدقة في سياق التزكية والتطهير دلَّ على أنَّ مِن ثمرات التزكية قبولَ توبة العبد إن صَدَقَ فيها.

(١) ينظر: تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٨٨).

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، أبو العباس الحراني الحنبلي. شيخ الإسلام. توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية)، و(الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح)، و(جواب الرسالة الصفدية). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٧/ ١١، ١٦- ١٧).

(٣) تزكية النفس، لابن تيمية: (٥٢- ٥٣).



٤- نيل رضا الله ومحبته:

يقول الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٨- ٢١].

فإنه إذا زكّى نفسه بالأعمال الصالحة التي يترتب عليها رضا الله رضي عنه الله ﷻ، وإذا رضي عنه أحبَّه وأرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾، وقد رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ: كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[١].

٥- النجاة من النار:

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧- ١٨].

يقول الله ﷻ: سيُوَقَّى صِليَّ النارِ التي تلظَّى التقيُّ الذي يُعطي مالَه في الدنيا في حقوقِ الله التي ألزَمه إياها؛ ليتطهرَ ويتزكَّى -بإعطائه ذلك- من ذنوبه؛ مبتغيًا به وجهَ الله -تعالى-[٢].

٦- دخول الجنة وبلوغ درجاتها العلى والخلود فيها:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ١٠٥-كتاب الرقاق/ باب التواضع/ ح٦٥٠٢).
(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٤٧٨). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٣٣١).



ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥- ٧٦].

فمـا جاء في القرآن؛ من حصول المغفرة والرضا والمحبة عن المؤمنين، وأنواع النعيم والتفضُّل والإحسان عليهم، فهو دَاخِلٌ في ثمرات التزكية؛ بدلالة سياق هذه الآية، وذلك أنه -تعالى- جعل مَن آمَن وعمل الصالحات في زُمْرَة مَن تزكَّى.





المبحث الثاني

وسائل تزكية النفس العقدية

إن مِـن أجَـلِّ نِعَمِ الله على عباده أن أرْشَـدَهم إلى ما فيه زكَاءُ نفوسـهم، وصلاح حالهم، وسعادة عاقبتهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وقد أرشـد القـرآنُ الكريم إلى وسـائلَ مُعِينـةٍ في تزكية النفس؛ ليسـعى الإنسان في تحصيلها، ومجاهدة نفسه على ذلك، ومِن أهمها:

۞ المطلب الأول: توحيد الله ﷻ:

مِـن أعظمِ ما تُزَكَّى به النفـوس، وتُطَهَّر به القلـوب، وتترقَّى به العقول؛ توحيد الله ﷻ، فلأجله شُرِّعَت الرسالات، ونُزِّلت الكتب، فهو دعوة النبي ﷺ، ودعوة الأنبياء عليهم السلام مِن قَبْلِه.

يقـول الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

قولـه: ﴿وَيُزَكِّيهِـمْ﴾؛ أي: يجعلهـم أزكياء القلـوب والنفـوس بالتوحيد والإيمان، ويُطَهِّرهم من ضلالات الجاهلية وأرجاسـها من دَنَسِ الكفر والشـرك والعصيان، ويُعَلِّمهم ما تَكْمُل به نفوسهم وتتهذَّب؛ ليُقَوِّي بها دواعيهم إلى اتِّبَاعها والعمل بها؛ ليصيروا بها أزكياء أنقياء أتقياء، راشدين مَهْدِيِّين قولًا وعملًا(١).

(١) ينظـر: جامع البيـان، للطبري (٢٢/ ٦٢٧). مفاتيـح الغيب، للـرازي (٤/ ٧٤)، (٣٠/ ٣). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠/ ٤٥٢). تفسير المراغي، للمراغي (٢٨/ ٩٥).



ومن الإشارات القرآنية على أن التوحيد من مقاصد بِعْثَةِ الرسل عليهم السلام وأنه أهمُّ وأوّل ما يدعون إليه، ما جاء في قصة دعوة موسى عليه السلام فرعونَ إلى التوحيد والتطهُّرِ من الشركِ، يقول الله -تعالى-: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨- ١٩]، أي: أدعوك إلى التوحيد لتتطهَّر من الشرك، فتعبد الله وتخشاه(١).

ومِن توحيد الله -جلَّ وعلا- تمحيضُ القصد له -جلَّ جلاله- رغبةً ورهبةً، والإعراض عن تطلُّب مدح الناس وحُبِّ الـمَحْمَدَةِ منهم؛ ولهذا كان جزاءُ مَن لم يُخلِص عمله لله عز وجل إبطالَ عمله، وجَعْلَه كله يوم القيامة هباءً منثورًا؛ يقول الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

وعن أبي أمامة(٢) رضي الله عنه: «جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيتَ رجلًا غزَا يلتمسُ الأجرَ والذكرَ؛ ما لَه؟». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، فأعادها ثلاثَ مَرَّاتٍ، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثم قال: «**إنَّ اللهَ عز وجل لا يَقْبلُ مِن العَمَلِ إلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وابتُغِي بِهِ وَجْهُهُ**»(٣).

(١) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (١٥١٢).

(٢) أسعد بن سهل بن حنيف، أبو أمامة الأنصاري. صحابي جليل، سمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم باسم جده لأمه أسعد بن زرارة، وكنَّاه بكنيته، ودعا له وبرَّك عليه، توفي سنة مئة. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٦/ ١٦).

(٣) أخرجه النسائي في سننه: (٦/ ٢٥-كتاب الجهاد/ باب من غزا يلتمس الأجر والذكر/ ح٣١٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١/ ١٠٦-ح٨).



قال المحاسبي[1]: «أَحْبَطَ أعمالهم وهم لا يشعرون؛ لأنهم تعجَّلوا ثواب أعمالهم من المخلوقين في الدنيا»[2].

يقول ابن رجب[3]: «ما نظرَ الـمُرَائِي إلى الخلقِ بعملِه إلا لجهلِه بعظمةِ الخالقِ»[4].

ومِن كمال توحيده -جل وعلا- كمالُ التوكُّل عليه، والإنابة إليه، وحُسْن الظن به.

يقول ابن تيمية: «ما رَجَا أحدٌ مخلوقًا أو توكَّل عليه إلا خاب ظَنُّهُ فيه؛ فإنه مُشْرِك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[5].

فإذا توكَّل المسلم على ربه حقَّ توكُّلِه؛ فلا مَطْمَعَ فيه لعدو؛ فقد جعل سبحانه مِن جزاء التوكُّل عليه كفايته، وفَرَجَهُ، ورزقه من حيث لا يحتسب المتوكِّل، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وهذا لا يكون إلا لمن كَمُل توكلُه؛ فكَمُل توحيده وإيمانه ويقينه[6].

---

(١) الحارث بن أسد، أبو عبد الله المحاسبي الصوفي. توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين. ومن مصنفاته: (كتاب آداب النفوس)، و(كتاب التوهم)، و(كتاب فهم القرآن ومعانيه). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١١/ ١٩٨).

(٢) ينظر: آداب النفوس، للمحاسبي (٥٦).

(٣) عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، أبو الفرج الحنبلي، توفي سنة خمس وتسعين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (شرح الترمذي)، و(شرح علل الترمذي)، و(طبقات الحنابلة). ينظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (٥٤٠).

(٤) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب (٣٩).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ٢٥٧).

(٦) ينظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن القاسم: (١/ ٢٥٢).



وإنمـا كان التوحيد والإيمان مما تزكو به النفوس والقلوب؛ لِمَا تضمَّنه من نفي ألوهية ما سـوى الحـق -تبارك وتعالى- من القلـب، وذلك طهارته، وإثبـات ألوهيته سـبحانه هو أصل كل زكاة ونَمَـاء؛ فأصل ما تزكوا به النفوس وأكملها توحيد الله ﷻ وإخلاص الدين له سـبحانه، يقول ﷺ: «**أَسْـعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

فجعل ﷺ أسـعد الناس حظًّا بشـفاعته يوم القيامة مَن أخلص التوحيد لله ﷻ، وليس هذا إلا لعظيم مقام التوحيد والإيمان؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِـــرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَـــآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي آية أخرى قال: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فالتوحيـد هو المقصد الأعظم الـذي تنتظم عنده مقاصـد القرآن كلها، وعليه دارت آيات الكتاب الكريم.

يقـول ابـن القيم(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ كلَّ آيـةٍ في القرآن فهي متضمِّنـةٌ للتوحيدِ، شاهدةٌ به، داعيةٌ إليه»(٣).

ومما يحسُـن التنبيه عليه أنه قد ينقض كمـالَ التوحيد أمورٌ يفعلها بعض النـاس دون إدراك إلى أن فيها منافاة لكمال توحيد الله ﷻ، ومما شـاع من هذا

(١) ينظـر: إغاثـة اللهفان، لابـن القيـم (١/ ٤٩). الإيمان، لابـن تيميـة: (٢٣٤). ❊والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ٣١-كتاب العلم/ باب الحرص على الحديث/ ح٩٩).

(٢) محمد بن أبي بكر ابن القيم، الزُّرعي الحنبلي. توفي سـنة واحد وخمسين وسبعمئة. ومن مصنفاته: (مفتاح دار السـعادة)، و(زاد المعاد)، و(جلاء الأفهام). ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، للحاجي خليفة (٣/ ٦١- ٦٢).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤١٧).



في العصر الحاضر عدمُ التوكُّل على الله ﷻ في جميع أمور الحياة، وتعليق بعض ما يتصرَّف فيه المرء أو يصيبه على عين فلان، أو تسلُّط فلان، أو واسطة فلان، وهو تعليق على سببٍ غير صحيح، والله ﷻ قد جعل التوكُّل عليه شرطًا في الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]؛ فلا ينبغي أن يُعوِّل أحدٌ في تصرفاته وعمله على أحدٍ، بل يُوكِل أمره كله لله ﷻ.

المطلب الثاني: الاستجابة لأحكام الله:

خلَقَ الله ﷻ النفس تُحب الحق وتريده وتطلبه، وإذا تعرَّضَت للكفر والهوى والمعاصي فسَدَت كما يَفسُد الزرع بما يَنبُت فيه مِن الدغل؛ فجعل تزكيتها بالاتِّعاظ بأحكامه وشرائعه والعمل بها، ولهذا قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠][(١)].

فمِن الآداب المشروعة والوسائل الـمُتَّبَعَة لتزكية النفس وتطهيرها ما جاء في مخاطبة أولياء المرأة بالأمر بالتسليم لأمر الله ﷻ، والاتِّعاظ بأحكامه في الزَّجْر عن عَضْل مَوْلِيَّتِهِ إن رغِبت مراجعةَ زوجها بعد تراضيهما بعد انقضاء العدة -وإن وجد في نفسه حرجًا ومشقة- يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)] [البقرة: ٢٣٢].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ١٨٨). أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ٥١١).

(٢) وذلك أن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه زوَّجَ أختَه رجلاً منَ المسلمينَ على عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فكانت عندَه ما كانت، ثمَّ طلَّقَها تطليقةً لم يراجعها حتَّى انقضتِ العدَّةُ، فَهويَها وَهويتهُ، ثمَّ خطبَها معَ الخطَّابِ فقالَ لَه: «يا لُكعُ! أكرمتُك بِها وزوَّجتُكَها فطلَّقتَها، واللهِ لا ترجعُ إليك أبدًا؛ آخرُ ما عليكَ»؛ فَعلِمَ اللهُ



قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾؛ أي: هذا الذي نهيناكم عنه يَأْتَمِر به ويتَّعظ به، ويتأدَّب بأدب الله له ويستسلم لأوامره: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[1].

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: اتباعكم شَرْعَ الله ﷻ في رد الـمَوْلِيَّات إلى أزواجهن، والوقوف عند حدود الله وأحكامه، وتَرْك الحَمِيَّة والإباء في ذلك؛ خيرٌ وأفضل مِن فُرْقَتِهِنَّ أزواجَهن، وأشد تنمية وتكثيرًا وتنقيةً وتطهيرًا وصلاحًا لقلوبكم من الرِّيبَة ودَنَس الآثام، فإن ذلك أقطعُ لأسباب العداوات والإحَنِ والأحقاد، بخلاف العَضْل الذي قصدتم منه قطع العَوْد إلى الخصومة[2].

وَوَجْهُ كَوْنِ الاتِّعاظ بأحكام الله وتطبيقها وسيلةً من وسائل تزكية النفس؛ أنه إذا اتَّعظت النفس بأحكام الله أطاعت الله ورسوله، فزادت الأعمال وزاد الإيمان، ونَمَت الأخلاق والآداب، فكلما كانت النفس أشدَّ اتِّعاظًا وتطبيقًا لأحكام الله كان ذلك أزكى لها وأطهر؛ لأن الأعمال الصالحة تُطَهِّر النفس من أرجاس المعاصي، وتزيدها إيمانًا ورِفعَةً ودرجة[3].

حاجتَه إليها وحاجتَها إلى بعلِها، فأنزلَ اللهُ -تبارَك وتعالى-: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلمَّا سمعَها معقلٌ قالَ: «سمعًا لربِّي وطاعةً»، ثمَّ دعاهُ فقالَ: «**أزوِّجُك وأُكرمُك**». أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٢١٦-ح٢٩٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/ ١٩٦- ١٩٧/ ح٢٩٨١).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٣٢).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٤/ ١٩٨). مفاتيح الغيب، للرازي (٦/ ١٢١). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٣٢). التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١/ ٢٧٥). التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٤٢٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، لابن عثيمين: (٣/ ١٣٧، ١٤١).



وهـي بهذا تُحقِّق مقصـد التوحيد من المقاصد القرآنيـة الكبرى؛ إذ هي مـن مكمِّلات التوحيد ومتعلِّقاته؛ لأن الله ﷻ كثيـرًا ما يبتدئ الآيات المتعلقة بـالآداب والأحكام بخطاب المؤمنيـن -وهم أهل التوحيـد- ويختم بعضها بشرط التوحيد كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فقرَّر ذلك تأكيدًا وتحقيقًا[١].

ومـن الآداب المشـروعة لتزكيـة النفـس وتطهيرهـا أيضًا التـأدُّب بآداب الاسـتئذان وأحكامه، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٨]؛ أي: إنْ رَدُّوكـم أو قال لكم أهل البيوت التي تسـتأذنون فيها: ارجعوا، فارجعوا، ولا تُلِحُّوا في إطلاق الإِذْن، ولا تمتنعوا عن الرجوع؛ فإن صاحب البيت لم يمنعكم حقًّا واجبًا لكم، فإن شاء أَذِنَ أو مَنَع، فقد يكون عدم الإِذْن إلى أنه في أمرٍ لا يُحبُّ أن تَطَّلِعوا عليه منه؛ فالبيوت سترٌ لأهلها، فلا يأخذ أحدَكم الكِبْرُ والاشمئزاز والغضب من الرجوع[٢].

ولذلـك قـال: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾؛ أي: رجوعكم عنها إذا لم يُؤْذَن لكم بالدخـول فيها خيرٌ لكـم وأفضل، وأطهر لكم عند الله في أمـرِ دينكم ودنياكم، وأَنْمَـى لمروءتكم وأكرم؛ لأنها لا تصح اللَّجَاجَة؛ فإن ذلك يكون خِسَّـةً بكم، ولا يَلِيقُ ذلك بكرامة الكريم[٣].

(١) ينظر: دراسة في مقاصد القرآن الكريم، للقصرواي (٥١، ٥٣).

(٢) الكشـاف، للزمخشري (٤/ ٢٨٧). زاد المسـير، لابن الجوزي (٩٩٣). تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٩٥). تيسـير الكريـم الرحمـن، للسـعدي (٥٦٥). التفسـير القـرآني للقـرآن، للخطيـب (٣/ ١٢٦١).

(٣) زاد المسـير، لابن الجوزي (٩٩٣). تفسـير المراغي، للمراغي (١٨/ ٩٥). زهرة التفاسـير، لأبي زهرة (١٠/ ٥١٧٧).



ثـم قال محذِّرًا مَن تُحدِّثهم أنفسـهم بانتهاك حُرُمَات الله، أو لا يأتمرون بهـذا الأمر الـذي أمرهم الله بـه، وأدَّبهم بأدبه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَـا تَعۡمَلُونَ عَلِيم﴾؛ أي: يعلـم ما فيه خيركم وطُهْرُكم وسُـمُوُّكُم، والفاضل مـن أموركم، والأَلْيَق بكُرَمَائِكم، وما يُبْعِد المنافرة بين جماعتكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجيبوا لأمـره؛ فإنه ذو عِلْم محيط بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركـم إذا قيـل لكم ذلـك، وتَرْك رجوعكـم عنها، وطاعتكـم الله فيما أمركم ونهاكـم في ذلك وغيره من أمـره ونهيه، مُحْصٍ جميعَه عليكـم حتى يجازيكم على جميع ذلك[1].

وكان بعض أهل العلم يتمنى إذا استأذن على بعض أصدقائه أن يقولوا لـه: ارجـع؛ ليرجع، فيحصـل له فضل الرجـوع المذكور في قولـه: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾؛ لأن الله ﷻ ما قال إنه أزكى، إلا لأن للمُمْتَثِل به خيرًا وأَجْرًا[2].

وفي هـذا أدبٌ عظيم وهو تعليم الصراحة بالحق دون المواربة ما لم يكن فيه أذى، وتعليم قَبُول الحق؛ لأنه أَطْمَن لنفسِ قَابِله، ولو اعتاد الناس التصارُح بالحق بينهم، وسلمت صدورهم بذلك؛ لزالت عنهم ظُنُون السوء بأنفسهم[3].

ثم أعقب حُكْم الاستئذان ببيان أدبٍ آخر فيه تزكيةٌ وطهارةٌ للنفسِ مما تقتضيه المجالسة بعد الدخول، وهو ألَّا يكون الداخل إلى البيت مُحَدِّقًا بِبَصَرِهِ

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٢٤٧). التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٣/ ١٢٦١). زهرة التفاسير، لأبي زهرة (١٠/ ٥١٧٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ١٩٩). أضواء البيان، للشنقيطي (٦/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٠).



إلـى مـا يحرُم النظر إليه، يقول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ أي: يَكُفُّوا مِن نَظَرِهم إلى ما نهاهـم الله عـن النظر إليه، ويحفظـوا فروجهم أن يراها مَـن لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم[١].

يقـول ابـن تيمية: «فجعل سـبحانه غَضَّ البصر وحِفْـظَ الفرج هو أقوى تزكية للنفس»[٢].

ورَغَّب في ذلك أشـد الترغيب بتعليله بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر العالي العظيـم مِن كلٍّ مِن الغَضِّ والحفظ الذي أُمِروا به أَطْهَرُ لهم، وأنمى لأعمالهم عند الله وأفضل[٣].

وفي هـذا الأمر بالغَضِّ أدبٌ شـرعيٌّ عظيمٌ في مباعـدة النفس عن التطلُّع إلـى مـا قد يُوقِعُهَـا في الحرام، أو يُكَلِّفُها صبرًا شـديدًا عليهـا؛ لأن ذلك أزكى لصاحبهـا، وأطهر لقلبـه، وأنقى لدينه، وأنمـى لعمله، وأبعد مـن دَنَسِ الآثام عنه، وبه يسـتحق الثناء والمدح، ولذلك خصَّ تعالى الخطاب للمؤمنين؛ لِمَا أراده مِـن تزكيتهم بذلك؛ لأن به تُـورَث حلاوة الإيمان ولذَّته، التي هي أحلى وأطيـب وألذُّ مما صَرَفَ بصره عنـه وتَرَكَهُ لله -تعالى-، فإن مَن تَرَكَ شـيئًا لله عَوَّضَهُ الله ﷻ خيرًا منه[٤].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٢٥٤). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٣).
(٢) العبودية، لابن تيمية (٩١).
(٣) ينظر: جامـع البيـان، للطبـري (١٧/ ٢٥٤). نظـم الـدرر، للبقاعـي (١٣/ ٢٥٤). تيسـير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٦٦).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٣/ ٢٠٦). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٢٢٦). تفسـير



وجملة الآداب والأحكام المذكورة إنما حُدِّدَت بكيفيات معلومة، وآدابٍ محتومة؛ حتى لا يُفرط الناس فيها أو في بعضها باختلاف مراتبهم في الأدب والأنفة، واختلاف أوهامهم في عدم المؤاخذة أو في شدَّتها[1].

ومما قد وقع التفريط فيه في الواقع المعاصر -للأسف- إطلاق النظر دون تحرُّزٍ وتحفُّظ، والتساهُل في تناقُل الوسائط المرئية في وسائل التواصل الاجتماعي مع احتوائها على المحرَّم من المنظور والمسموع دون أي اعتبار لقيمة العفة وغضِّ البصر، والله المستعان.



القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٤٣). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٩٦). إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٤٧).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ٢٠٣- ٢٠٤).



المبحث الثالث

وسائل تزكية النفس التعبدية

المطلب الأول: الصلاة والذكر:

يقول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[1] [الأعلى: ١٤- ١٥]؛ أي: قد أَنْجَحَ وفاز وأدرك طِلْبَته مَن زكَّى نفسه وطَهَّرها من الكفر والمعاصي والأخلاق الدنيئة، وعَمِلَ بما أمره الله به، فذكَر ربه، وصلَّى، وأدَّى فرائضه، وتقرَّب إليه بالنوافل[2].

وإنما قدَّم التزكية ههنا على ذِكْر الله وعلى الصلاة؛ لأنها أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تَطَهَّرَت النفس؛ أشرقت فيها أنوار الهداية فعَلِمَت منافعها، وأكثَرت من الإقبال عليها بتزكيتها وارتياضِها على قبول الخير والاجتهاد فيه، واجتناب الشر والوقوع فيه[3].

وخُصَّت الصلاةُ وذِكْرُ الله ﷻ بالذِّكْر في الآية؛ لأن ذكر الله أكبر من كل شيء، ولأن الصلاة أول الأمر بعد الشهادتين، وهي عمود الدين، والصلة بين العبد وربه، وقد كان من شأن الأنبياء عليهم السلام تعظيم مقام الصلاة، وأَمْر أهليهم بها، وبهذا خاطَب الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وكان من حاله ﷺ أنه إذا نُودِيَ للصلاة -وهو في مهنة أهله- تَرَكَ ما بيده

(١) ومن نظائره في القرآن: الآية (١٨) من سورة فاطر.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٣١٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٢٨٨).



وخرج إلى الصلاة[1]، وكان ﷺ يقول: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**»[2].

ومن الدلائل القرآنية والحديثية الدالَّة على أن الصلاة من وسائل تزكية النفس في الزيادة من الخير والفضيلة، والامتناع عن دروب الشر والرذيلة، وفي تكفير السيئات، وعُلُوِّ الدرجات، قولُ الله ﷻ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٣- ٤].

وقوله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**». قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قال: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**»[3].

ولا عَمَلٌ يَزَعُ النفسَ عن الشرِّ ويُحبِّب إليها الخير ويُرَغِّبها فيه -بعد الصلاة- مثل ذِكْر الله ﷻ؛ فبه يتذكَّر العبد كمال الله المطلَق، وعِلْمَهُ وحكمته، وفضلَه ورحمته، وبه يتقرَّب إلى ربه[4].

يقول النبي ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيرِ أَعْمَالِكُم، وَأَزكَاهَا عِندَ مَلِيكِكُم، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم، وَخَيرٌ لَكُم مِن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيرٌ لَكُم مِن**

(١) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: (١/ ١٣٦-كتاب الأذان/ باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج/ ح٦٧٦).

(٢) أخرجه النسائي في سننه: (٧/ ٦١-كتاب عشرة النساء/ باب حب النساء/ ح٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: (١/ ٥٩٩-ح٣١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (١/ ٤٦٢- كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات/ ح٦٦٧).

(٤) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٥/ ٣٨٦).



أن تلقوا عدوكم؛ فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟». قالوا: بلى. قال: «ذِكرُ اللهِ»[(١)].

ولذلك جاء الأمر الإلهي في القرآن الكريم مخاطبًا المؤمنين أن يُكْثِرُوا من ذِكْر الله ﷻ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فبالذِّكْر تنشرح الصدور، وتطمئن القلوب، وتَأْنَسُ بِذِكْر علام الغيوب، يقول الله ﷻ: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وخليقٌ بها ذلك.

قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[(٢)].

يقول ابن تيمية: «الذِّكْرُ للقلبِ كالماءِ للسَّمَك، فكيف يكون حال السمك إذا أُخْرِجَ من الماء؟»[(٣)].

واللافت للنظر اقتران الصلاة بالذِّكْر في غير ما موضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ٩١]، وقوله: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النور: ٣٧]، وقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٣٢٠-أبواب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الذكر-باب منه/ ح٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/ ٢٠٤-ح١٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ٨٦-كتاب الدعوات/ باب فضل ذكر الله ﷻ/ ح٦٤٠٧).

(٣) الوابل الصيب، لابن القيم (٤٢).



﴿ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

والمتأمِّل لهذه الآيات يُدْرِك عظيم منزلة الصلاة والذِّكْر، وأنهما مما يُعِين المرء على تزكية نفسه، وأنه لا ينبغي أن يتأخَّر المسلم عن إقامة الصلاة بحقها، وألَّا يَفْتُرَ عن ذِكْر الله في كافة أحواله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾؛ فعلى أي حالٍ كنتم إلا ذكرتم الله فيها، فلا غفلة، ولا عبث؛ ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ من كل شيء.

يقول ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قالوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ. قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»[(١)].

ولهذا كانت هذه الوسيلةُ سبيلًا لتحقيق المقصد القرآني من النهي عن الفحشاء والمنكر، بما هو أعظم منهما؛ وهو ذكر الله ﷻ، والإخبات إليه سبحانه، وتعظيمه وإجلاله؛ ليفيض القلبُ طمأنينة، ويسلو من همومه وأحزانه، ويجلو الران عنه بغفران الذنوب، وطرد الشياطين، والابتعاد عن أسباب استحقاق العذاب، وطمس أنوار البصيرة.

فصلاح القلب، وقُرَّةُ العين، وسعادة الدنيا، والفوز في الآخرة، والفلاح كله مَنُوطٌ بهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٠٦٢-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على ذكر -الله تعالى-/ ح٢٦٧٦).



والناس في هذا بين مُسْتَقِلٍّ ومُسْتَكْثِرٍ، فمَن شغَلَ نفسه بالصلاة والذِّكْر فقد أنجح وأفلح، وعد بذلك ربنا، وهو سبحانه لا يُخلف وعده، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، نسأل الله من فضله.

المطلب الثاني: تلاوة القرآن وتدبره، وتعلُّم الحكمة وتفهمها:

تلاوة القرآن وتدبُّره من أعلى وسائل تزكية النفس رُتبةً، وأشرفِها مقامًا، وأعظمِها أجرًا وثوابًا، وقد امتنَّ الله ﷻ على عباده بما أنعم به عليهم من بعثة الرسول ﷺ إليهم، يتلو عليهم آياتِه مبيِّناتٍ ويُزكِّيهم، فقال مذكِّرًا بها عباده المؤمنين: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

يقول مُمْتَنًّا ومذكِّرًا: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ التي تُرشدكم إلى الحق، وتهديكم إلى سبيل الرشاد، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾؛ أي: يُطهِّركم من رذائل الأخلاق ودَنَسِ النفوس، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآن والسنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾، ووجه المِنَّة في ذلك أنه يهديهم إلى الحق مصحوبًا بالدليل والبرهان(١).

ولقد ذمَّ الله ﷻ مَن لم يَعرف قدر هذه النعمةِ، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، يعني بنعمة الله: محمدًا ﷺ؛ ولهذا نَدَبَ الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٦٤). تفسير المراغي، للمراغي (٢/ ١٨).



ومقابلتها بِذِكْرِه وشُكْرِه، فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢][(١)].

وسبيل شُكْرها باستدامة قراءة القرآن تدبُّرًا وتفكُّرًا، وعملًا بأمره ونهيه، وباتباع سنة النبي ﷺ، والتأسي بهديه، فإن دوام النعمة والفضل بدوام الشكر، يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد ندب الله ﷻ عباده إلى تدبُّر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]، فإن كل مَن تدبَّره أوجب له تدبُّرُه علمًا ضروريًّا ويقينًا جازمًا أنه حقٌّ وصِدْقٌ[(٢)].

يقول ابن تيمية: «ومَن أصغى إلى كلامِ الله وكلامِ رسولِه بعقلِه، وتدبرَّه بقلبِه، وَجَد فيه من الفَهم والحلاوةِ والبركة والمنفعة ما لا يجدُه في شيءٍ من الكلامِ لا منظومِه ولا منثوره»[(٣)].

فهذه الوسيلة تحققُ المقصدَ القرآني من الاتباع والتذكر، وتحصيلِ الهداية، وتحقيقِ التوحيد، وتهذيبِ الأخلاق، وإدراك الرحمة؛ ولهذا كانت تلاوةُ القرآن وتدبُّره، وتعلُّم السنة وتفهُّمُها مِن أعظم وسائل تزكية النفس؛ لأن الكتابَ والسنة هما مَوْرِد التشريع، ولِمَا لتلاوة القرآن من الأجر العظيم والفضل الجزيل، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ [فاطر: ٢٩- ٣٠].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٦٥).
(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤٣٧).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/ ٢٧٠).



ويقـول النبـي ﷺ: «مَن قَرَأَ حَرْفًا مِن كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَـنَةٌ، وَالحَسَـنَةُ بِعَشْـرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: ﴿ الٓمٓ ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِن أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»[1].

فخليـقٌ بالعاقل اللبيب أن يسـتثمر وقته بما يُزكِّي نفسَـه ويُطَهِّرها، وبما يكـون سـببًا لزيادة الأجر، وصـلاح الأمر؛ بالإكثـار من تلاوة القـرآن وتدبرُّه والعمل بما فيه، والاسترشـاد بالسـنة وتَفهُّمِها والعملِ بمقتضاها؛ ليَبْلُغ تزكيةَ نفسِه طُهْرةً ونماءً، ومن الكريم قَبُولًا ورضًا.

۞ المطلب الثالث: التوبة:

إنَّ مِن سـعة فضل الله ورحمته، وعظيم إحسـانه وكرامته، أنْ جعل باب التوبـة لعبـاده مفتوحًا، فلـم يُغلِقْهُ دونهم، وأرشـدهم بنور وحيه إلى سـبيلها؛ لتَطْهُر أنفسهم، وتتزكَّى مِن دَرَن الذنوب والمعاصي.

فإنَّ مَن تاب مِن الذنوب وأقبل على الأعمال الصالحة استراحت نفسه، وزكَا قلبه؛ لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وتُطَهِّر النفس من أوضارِ الذنوب والآثام، وتُمْحُو أثرها -إن صَدَق التائب وقُبِلت توبته- فلا تُبقِي من أثرها شـيئًا، يقول النبـي ﷺ: «إنَّ المؤمِـنَ إذا أذْنَـبَ كانَت نُكْتَةٌ سَـوداءُ في قلبِهِ، فـإن تابَ ونَزَعَ واسْتَغفر صُقِلَ قَلْبُهُ»[2].

ولهـذا لا ينبغـي أن تحـولَ كثرةُ الذنوب بين الإنسـان وبيـن التوبة؛ فلا

---

(١) أخرجه الترمذي في سـننه: (٥/ ٢٥-أبواب فضائل القرآن/ باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر/ ح٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢/ ١٦١-ح١٤١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٢/ ١٤١٨-كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب/ ح٤٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: (٩/ ٢٤٤-ح٤٢٤٤).



يستغرقَ فيها، ولا أن يُؤيِّس عبادَ الله من التوبة بتعظيم ذنوبه أو تكثيرِها، فيصُدَّهم عن سلوك طريقها؛ فإن الله ﷻ يغفرُها له مهما عَظُمت، فعن أبي طويل(١) رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: (أرأيتَ رَجُلاً عمِلَ الذنوبَ كلَّها فلَم يَترُك منها شيئًا، وهُوَ فِي ذَلِكَ لَم يَترُك حَاجَّةً ولا دَاجّةً(٢) إلا أتاهَا، فهل لَهُ مِن تَوبَةٍ؟).

قال: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟».

قال: (أمَّا أنا فأشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأنَّك رسولُ اللهِ).

قال: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الخَيْراتِ، وتَتْرُكُ السَّيِّئاتِ؛ فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَك خَيْراتٍ كلَّهُنَّ».

قال: (وغَدَراتي وفَجَراتي؟).

قال: «نَعَمْ».

قال: (اللهُ أكبَر)، فما زال يُكَبِّرُ حتى تَوارى(٣).

وفي هذا عاتَبَ الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ حين أعرض عن الأعمى لَـمَّا أراد أن يُزكِّيَ نفسَه بالتوبة وتطهير الذنوب فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾(٤) [عبس: ١-٣]؛ أي: وما يُدريك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عَبَسْتَ في وجهه يتزكَّى ويتطهَّر من ذنوبه، بما يستدعِي منك

---

(١) شَطَب الممدود، أبو طويل الكندي. صحابي جليل. لم تُثبت كتب الترجمة له تاريخ وفاة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٢/ ٦٣٣).

(٢) الحاجَّة: الحاجَة الصغيرة، الداجَّة: الحاجة الكبيرة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (د ج ج).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٧/ ٣٧٥- ٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣/ ٢٢٨-ح٣١٦٤).

(٤) ومن نظائرها في القرآن الكريم: الآية (٧) من السورة نفسها.



تعليمه إياه من القرآن والدِّين، فيزداد طهارةً في دينه، وتزول ظُلْمَة الجهل عنه وأوضار الآثام، ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ٤]، أي: يَعْتَبِر، فينفعه الاعتبار والاتِّعاظ[1].

ولا شك أن هذه الوسيلةَ تُحقق المقصدَ الأعظم من مقاصدِ القرآن الكريم؛ وهو تحصيل الهداية، ونيل محبة الله -جلَّ جلاله-؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وبها يكون الفلاح؛ بقَبول التوبة، وحصولِ العفو والمغفرة والرحمة، وصْرفِ العذاب ودفعِه، ودخولِ الجنة.

فالمتأمل للآيات الحاثَّة على التوبة في القرآن الكريم -وهي كثيرة- يرى تعليقها بالفَلَاح، وبتكفير السيئات، ودخول الجنَّات، ومِن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ثم قال بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

وإنما كانت بهذه المنزلة الرفيعة من تكفير السيئات ونَيْل الدرجات؛ لأنها مِن أعظم ما تتزكَّى به النفوس، وتُمْحَى بها الذنوب، ويُنال بها رضا علَّام الغيوب.

ومما غفل عنه الناس اليوم هَدْيُ النبي ﷺ في التوبة؛ بالاستغفار والتوبة في المجلس الواحد أكثر من مئة مرة[2]، حيث أُتْرِعَت أحاديثُ المجالسِ

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ١٠٥- ١٠٦). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٧٢). تفسير المراغي، للمراغي (٣٠/ ٣٩).

(٢) كما رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (إنَّا كُنَّا لنَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحِدِ مئة مرَّة: «رَبِّ اغفِر لِي وَتُب عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم»)، رواه أبو داود في سننه: (٢/ ٦٢٧-ح١٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٥/ ٢٤٨-ح١٣٥٧)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.



بالأمـور الدنيويـة، وقـلَّ فيهـا الذِّكْـر والمواعظ الإيمانيـة، ولعـل التذكير في المجالس والاجتماعات بِعِظَمِ شـأن التوبة، وبيـان أثرها ومقاصدها، وأن الله -تعالـى- أوجب المغفرة للتائبين؛ لعله يَعْظُم معنى التوبة في النفوس، وتُشَـدُّ العزائم على بلوغ الغاية في التطهُّر والزكاء والهداية.

المطلب الرابع: بذل الصدقات:

إن مِن أشرف وسائل تزكية النفس التي تُكَفَّر بها الخطيئات، ويُتَقرَّب بها إلى ربِّ البريَّات، ويَرفع اللهُ بها الدرجات؛ بَذْلَ الصدقات.

يقول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِـنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: تُطهِّرهم من دَنَسِ ذنوبهم، وتُكَفِّر سـيئاتهم، وتُنَمِّيهم، وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص[(١)].

وفي هذا حضٌّ للمؤمنين عامة، وللمذنبين خاصة على البذل والإحسـان في سـبيل الله؛ فإن إنفاق المال في سـبيل الله هو عَدْلُ الجهاد بالنفس، فالصدقة طُهْـرةٌ للمتصـدِّق، وتزكيةٌ له من الأوضـار والآثام التي تَعْلَق بـه[(٢)]، وهي من صور الإحسان إلى الناس.

يقول ابن تيمية: «والإحسان إلى الناس مِن أعظم ما تَزكُو به النفس، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]»[(٣)].

ومِن شـرفها أن الله جعلها سـببًا في النجاة من النار، فقـال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْـقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧-١٨]، فهـي مُزَكِّيَةٌ ومُطَهِّرَةٌ لمن

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١١/ ٦٥٩).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٢/ ٨٨٧).

(٣) الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤).



قصد بها وجه الله طالبًا زكاةَ نفسه وتطهيرها؛ فإنه إذا خَلَا عَمَلُ الإنسان من ذنوبٍ يستحق عليها العقاب بما بَذَلَ في تزكية نفسه من الأسباب؛ غفر الله له برحمته وواسع فضله، فنُجِّيَ من النار، وأُدْخِل الجنة.

ومِن شرفها وفضلها أيضًا أن الله ﷻ عظَّم شأنها، حتى وصفها بوصفٍ قلَّ أن يَصِف به غيرها، فقال سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فوصف الصدقة بأنها قرض، والله أغنى الأغنياء، لا تنفعه طاعة عباده، ولا تضرُّه معصيتهم، ولا غِنًى فوق غنى الله ﷻ، ومع ذلك وَصَف المتصدِّقَ بأنه يُقْرِض الله ﷻ؛ استدعاءً إلى أعمال البرِّ، والإنفاق في سبيل الخير بألطفِ الكلام وأبلغه، وتأكيدًا لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضًا إلا والعِوض مستحق به، ففي هذا دلالة على عظيم فضل الصدقة، وأن الله يرفع بها من الدرجات بالحسنات، ويُكَفِّر بها من الخطيئات والسيئات(١).

يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢).

وهذه دعوةُ مَلَكٍ لا تُرَدُّ؛ فنزولهما بإذن الله، ومقالتهما كذلك، فكيف لا يُستجاب لهما؟! فالله ﷻ ما أنزلهما وقوَّلهما إلا ليُسْتَجَاب لهما -بفضله-، بل إن هذا مُشَاهَد محسوس؛ فإن المنفِق دائمًا مرزوق، والممسِك محروم، ومصداقه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩](٣).

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (١/ ٥٤٧). شرح كتاب زاد المستقنع، للشنقيطي: (٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢/ ١١٥-كتاب الزكاة/ باب قول الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠]، «اللهمَّ أعطِ منفق مال خلفًا»/ ح١٤٤٢).

(٣) ينظر: الكوثر الجاري، للكوراني (٣/ ٤٣٩- ٤٤٠). شرح كتاب زاد المستقنع، للشنقيطي: (٧٢٢).



فمَن أراد طهارةَ نفسِه من الأخلاق الرذيلة؛ من البخل والشُّحِّ وغيرها، وطهارتَها من الذنوب والآثام، وأراد إنماءَها بما يكونُ سببًا لزيادته في أوجه البِرِّ والخيرات، ونَيْلِ النفعِ والبركات، وأراد توفيقًا إلى الإحسان والطاعات، ومضاعفة الأجور والحسنات، وتخلُّقًا بأخلاق الأنبياء؛ برحمة الضعفاء، ومواساة الفقراء؛ فليستكثر من بذل الصدقات؛ تحقيقًا للمقصد القرآني.





المبحث الرابع

وسائل تزكية النفس الأخلاقية

المطلب الأول: عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا:

يقول الله ﷻ في معرض الذم للذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد ﷺ بالخسيس من الرشوة يعطونها، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويُغَيِّرُونَ معانيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[(١)] [البقرة: ١٧٤]؛ أي: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يُورِدُهُم النار بِأَكْلِهِم، ولا يكلِّمهم الله ﷻ يوم القيامة بما يُحِبُّون ويَشتهون[(٢)]؛ لأنه غضبان عليهم؛ لأنهم كتموا عن العباد ما يُزكِّيهم فاستحقوا الغضب، ثم قال: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: ولا يُطَهِّرُهم من دَنَسِ ذنوبهم وكُفْرِهم، ولا يُثْنِي عليهم، ولا يُنَمِّي أعمالهم، بل يُعذِّبهم عذابًا أليمًا مُوجِعًا؛ لِمَا أوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم عنهم ما يُقِيمهم على المحجة السهلة[(٣)].

ولَمَّا كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب دلَّت الآيات على

(١) ومن نظائره في القرآن: الآية (٧٧) من سورة آل عمران.

(٢) فأما بما يسوءهم، ويكرهون فإنه سيكلمهم؛ لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨]، ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٦٧).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٦٦- ٦٧). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٨٤). نظم الدرر، للبقاعي (٢/ ٣٥٢).



تحريم كتمان الحق، ووقوع الوعيد في حق كل مَن كَتَمَ شيئًا من العلم أو بابًا من الدين يجب إظهاره(١).

وإنما وصف تعالى في الآية مَن قام بكتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا وعظَّم في الوعيد عليه؛ تعظيمًا لهذا الذنب(٢)، وجعل جُرمَهم هذا سببًا موجبًا لعدم تزكيتهم؛ لأنهم لـمَّا كتموا عن العباد ما يُزكيهم؛ جازاهم بنظير فعلهم بألَّا يُزكيهم عدلًا منه ﷻ، مع ما يستحقونه من العذاب الأليم، والحال الوخيم.

ووجْهُ كَوْنِ عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا وسيلةً من وسائل تزكية النفس أنه في اجتناب ما يُوجِب عدمَ التزكية سلوكٌ لطريق التزكية نفسه؛ وهذا هو المقصد القرآني من هذه الوسيلة؛ ولهذا امتدح الله ﷻ وجازَى بالحسنات في مقابل ذلك مَن سَمِع الحقَّ ولم يكتمه، وأيَّدَه بما عنده من العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٣- ٥٤]، ولا شك أن مضاعفة الثواب ههنا دليلُ تزكيته تعالى لهم، والله أعلم.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٥/ ٣٠).

(٢) ينظر: المرجع نفسه.



المطلب الثاني: عدم الثناء على النفس وتبرئتها[1]:

مِن الوسائل الـمُعِينَة على تزكيةِ النفس وتطهيرها من سوء الأخلاق والأقوال والأفعال عدم تبرئتها ومدحِها والثناء عليها؛ فإن مِن أعظم ما يُفْسد العمل الصالح ويُهلِك صاحبه تزكيته لنفسه بالثناء عليها، وتبرئتها من العيوب والنقائص.

وفي سياق الذمِّ يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء: ٤٩]؛ أي: يُثْنُونَ عليها، ويُبَرِّئُونَها من الذنوب ويطهِّرونها، ويَدَّعون أنهم أزكياء بَرَرَةٌ عند الله؛ يُزكُّون أنفسهم بأمرٍ لم يَبْلُغوه[2].

فليس الـمُزكِّي مَن زكَّى نفسه، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، فيُطَهِّره ويبرِّئه من الذنوب بتوفيقه لاجتناب ما يَكرهه من معاصيه إلى ما يرضاه من طاعته من حُسن الأفعال والأقوال، فلا عِبْرَةَ بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له، ولهذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٥٠]،

(١) ويُستثنى من ذلك ما كان لمصلحة كما جاء في قصة يوسف عليه السلام في مدحه لنفسه في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، قال النووي: «اعلم أن ذكرَ محاسن نفسه ضربان: مذموم؛ ومحبوب، فالمذمومُ: أن يذكرَه للافتخار وإظهار الارتفاع والتميّز على الأقران وشبه ذلك. والمحبوبُ: أن يكونَ فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف، أو ناهيًا عن منكر، أو ناصحًا أو مشيرًا بمصلحة، أو معلمًا، أو مؤدبًا، أو واعظًا... فيذكر محاسنَه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقربَ إلى قَبول قوله واعتماد ما يذكُره، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك.

وقد جاء في هذا المعنى ما لا يحصى من النصوص، كقول النبيّ ﷺ:...«أَنا سَيِّدُ وَلَد آدَم»... وقال يوسف ﷺ: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقال شعيب ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]... وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «واللهِ لقد أخذتُ مِن فِي رَسُولِ الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولقد علمَ أصحابُ رسول الله ﷺ أني مِنْ أعلمهم بكتاب الله تعالى، وما أنا بخيرهم، ولو أعلم أن أحدًا أعلمُ منّي لرحلتُ إليه»... ونظائر هذا كثيرة لا تنحصر، وكلُّها محمولة على ما ذكرنا، وبالله التوفيق»، ينظر: الأذكار، للنووي: (١/ ٢٣٨- ٢٣٩). والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ١٧٨٢-كتاب الفضائل/ باب تفضيل نبينا ﷺ/ ح٢٢٧٨).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٧/ ١٢٤). تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٥٩- ٦٠).



أي: إن تزكية النفس، والغرور بما عندها مما آتاها الله من فضله مما يُبطِّىء عن نافعِ العمل الـذي يُثَاب عليه الناس، وكفى بهذا إثمًا ظاهـرًا؛ لأنه لا أَثَرَ له مِن حق، ولا سِـمَة عليه من صواب، وما مصدر هذه الدعوى إلا الغرور والجهل والإعجاب بالنفس والعمل، وكفى بذلك شرًّا مستطيرًا[1].

ولقد زَجَرَ الله ﷻ عن تزكية المرء نفسَه وتبرئته إياها، فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]؛ أي: لا تمدحـوا أنفسكم ولا تُثْنُوا عليها، ولا تشهدوا لها بأنها زَكِيَّةٌ بريئة من الذنوب والمعاصي، أو تشهدوا لها بزكاة العمل وزيادة الخير؛ فإن ذلك أَبْعَدُ من الرياء، وأقرب إلى الخشوع، واشكروا لله على فَضْلِهِ ومغفرته؛ ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] ممن أَخْلَصَ منكم العمل، وخاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه[2].

فدلَّ الكتابُ والسـنةُ على المنعِ من تزكيةِ الإنسـان نفسَه[3]، كما جاء في صحيح مسـلم عن محمد بن عمرو بن عطاء[4] قال: (سَمَّيْتُ ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينبُ بنتُ أبي سَلَمَة[5]: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ بَرَّة

(١) ينظـر: جامـع البيان، للطـبري (٧/ ١٢٤). الجامع لأحـكام القرآن، للقرطبـي (٦/ ٤٠٧- ٤٠٨). تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٦١).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٧٠- ٧١). الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٤٩). تفسير المراغي، للمراغي (٢٧/ ٦٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٠٨).

(٤) محمد بن عمرو بن عطاء، أبو عبد الله القرشـي العامري. من التابعين. توفي في آخر خلافة هشـام بن عبد الملك. ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٣/ ٣٠٩).

(٥) زينـب بنـت أبي سـلمة بن عبد الأسـد، القُرشـية المخزوميـة، ربيبة النبـي ﷺ، وأمها أم سـلمة أم المؤمنين. توفيت عام ثلاثة وسـبعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٦/ ١٣١). تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/ ٨١٤).



فقال رسول الله ﷺ: «لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنكُم» فقالوا: بِمَ نسمِّيها؟ فقال: «سَمُّوهَا زَيْنَبَ»)[١].

ولقد اتفق العقلاء على استهجان تزكية المرء نفسَه بالقول ولو حقًّا[٢]، وقد قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه[٣].

ويدخلُ في ذلك تزكيةُ الناسِ والمبالغةِ في الثناءِ عليهم، وقابِلُ المدحِ -إن أُثْنِيَ عليه- كمادِحِ نفسِه، فإن الرادَّ له محمودٌ، والقَابِلَ له مَعِيبٌ[٤].

وقد رُوِيَ أن رجلًا ذُكِر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ -يَقُولُهُ مِرَارًا- إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا»[٥].

فنهى ﷺ أن يُفْرِطَ في مدح الرجل بما ليس فيه، فيُدخِل في نفسه الإعجابَ والكِبْرَ، ويحمله ذلك على تضييع العمل وتَرْك الازدياد من الفضل؛ ولذلك قال ﷺ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ»، وعلى هذا تأوَّل العلماء قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ»[٦]، أن المراد به المدَّاحون

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٣/ ١٦٨٧-كتاب الآداب/ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم بَرَّة إلى زينب وجويرية ونحوهما/ ح٢١٤٢).
(٢) تفسير المراغي، للمراغي (٥/ ٦٠).
(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (١/ ٤٦).
(٤) ينظر: الأدب الكبير، لابن المقفع (٢٤٨).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ١٨-كتاب الأدب/ باب ما يُكره من التمادح/ ح٦٠٦١).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢٢٩٧-كتاب الزهد والرقاق/ باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح/ ح٣٠٠٢).



في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم، حتى يجعلوا ذلك بضاعة يستأكلون به الممدوحَ ويفتنونه[1].

وهذا مما عمَّت به البلوى من المبالغة في تزكية النفس بما ليس فيها، والمبالغة في التمادُح، خاصة في المحافل الاجتماعية، والأشعار القَبَلِية، وهو شيءٌ منكرٌ منهيٌّ عنه.

فالالتزامُ بهذه الوسيلة يُحققُ المقصدَ القرآني؛ من تهذيبِ الأخلاق[2]، ورياضةِ النفس على التواضع، وكفِّ زمامها أن تسلُكَ طريقَ العُجب والكِبْر والغرور بما أُوتيت من فضل إذا هي زُكِّيت وامتُدِحت.

المطلب الثالث: عدم اتباع خطوات الشيطان:

إن الله ﷻ قد ابتلى الإنسان بأن جعل الشيطان له مُحرِّضًا على الإسراف فِي اجتلابه ما يؤذيه، واجتنابه ما ينفعه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حِذْرَه من هذا العدو الذي قد أبان عدواته منذ زمن آدم عليه السلام، وبَذَلَ عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم[3].

وقد بيَّن النبي ﷺ شدة عداوة إبليس، وحِرْصه على إغواء بني آدم، وذلك فيما رواه جابر بن عبد الله[4] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ إبلِيسَ يَضَعُ عَرشَهُ عَلَى الماءِ، ثُمَّ يَبعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنهُ مَنزِلَةً أَعظَمُهُم فِتنَةً**»[5].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٠٨- ٤٠٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٠).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (٢٤).

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو، أبو عبد الله السلمي الأنصاري. صحابي جليل، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي. توفي سنة أربع وسبعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (١/ ٤٩٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: (٤/ ٢١٦٧-كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا/ ح٢٨١٣).



وقد أمر الله ﷻ في مُحْكَمِ تنزيله بالحذر من الشيطان، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [النور: ٢١]، أي: لا تتبعوا طرائقه ومسالكه ونزغاته وما يأمر به[١].

ثم ذكر تعالى المقصد القرآني من النهي عن اتباع خطوات الشيطان فقال: ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾؛ فإن مَن اتَّبعَ الشيطان ارتكب الفحشاء والمنكر؛ لأنه لا يأمر إلا بهما، وهما كلُّ فِعْلٍ أو قولٍ قبيح نهت عنه الشريعة وأنكرته، وكذا كل ما أنكره أهلُ الخير منهما، وعلى هذا فكلُّ معصيةٍ هي من خطواتِ الشيطان، داخلةٌ في الفحشاء والمنكر[٢].

وسبيل تزكية المرء نفسَه في هذا أن يتجنَّب ويترك مقارفة الفواحش والمعاصي، فمتى ما سوَّل الشيطانُ للإنسانِ أمرًا فينبغي أن يَحْذَرَ منه أشد الحذر، وليستحضر العقل إلى بيت الفِكر في عواقب الذنب؛ وليسأل الله أن يجنِّبه الرذائل، وأن يُطَهِّره ويزكِّيه؛ لعل مَدَدَ توفيقٍ منه -سبحانه- يعصمه من الوقوع فيها؛ فتزكو نفسه وتصلح[٣].

يقول ابن تيمية: «تَرْكُ الفواحش مما تزكو به [النفوس]، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا﴾»[٤].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠).
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٨٧). تفسير المراغي، للمراغي (١٨/ ٨٨).
(٣) ينظر: ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (٢٤).
(٤) الإيمان، لابن تيمية: (٢٣٤).



فلولا فضل الله ورحمته ومِنَّتُهُ على مَن يشاء من عباده بالتوفيق لفِعْل ما تزكو به النفوس، وبالمغفرة عند التوبة، لَمَا حصل لأحد من الناس زكاة ولا خير ولا طهارة؛ لأن فتنة الشيطان فتنة عظيمة، لا يكاد يَسْلَم منها الناس لولا فضل الله بإرشاد الدين، فتزكيته وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمال خَلْقِه، فهو سبحانه ﴿يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ مِن خَلْقِه، ويُضِلُّ مَن يشاء، ويُرْدِيه في مهالك الضلال والغَيِّ، فهو السميع لأقوال عباده، يستجيب لمن سأله الزكَاء والهداية وقبولَ التوبة بفضله، عليمٌ بمن يستحق منهم الهدى والضلال[١].

ومما يُؤسَف له أن بعض الناس قد تغافَل عن تزكية نفسه بِتَرْك فاحش الأقوال ومُنْكَرِها من الغِيبَة والنميمة، والاستماع إلى المعازف[٢] وغيرها، بل استسهل مقارفتها دون اهتمامٍ لتطهير نفسه منها، رغم النهي المتكرر عن اتِّباع خطوات الشيطان واتِّباع الهوى، وعن الانشغال باللهو عن الطاعة وتطهير النفس وزيادتها في الخير وأوجه البِرِّ.



(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٠). تفسير المراغي، للمراغي (١١/ ١٦). التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٨٧).

(٢) وفي سياق كون المعازف تدخل في الفحشاء والمنكر ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَيَكُونَنَّ مِن أُمَّتِي أَقوَامٌ يَستَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمرَ وَالمَعَازِفَ**»، أخرجه البخاري في صحيحه: (٧/ ١٠٦- كتاب الأشربة/ باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه/ ح٥٥٩٠). قال ابن تيمية: «من الفحشاء والمنكر: استماع العبد مزامير الشيطان، والمغني هو مؤذنه الذي يدعو إلى طاعته، فإن الغناء رُقيَة الزنا»، ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٥/ ٣٤٩).



الخاتمة

وبعدُ، فقد جاءت آياتُ القرآن الكريم -كما تبيَّن- مرشدةً إلى وسائلَ متكاملةٍ مُعِينة على تزكية النفس؛ دارت بين تطهيرها عن كل ما لا ينبغي، وزيادتها وإنمائها من كل خيرٍ وبِرٍّ وفضيلة؛ محقِّقةً بها عمومَ المقاصدِ القرآنية وكلياتها؛ شاهدةً على أن مدار سعادة العبد وصلاح أمره، وفلاحه في الدنيا والآخرة؛ قائمٌ على تزكية نفسه وتطهيرها. ولعل من أبرز النتائج التي خلص إليها البحثُ ما يلي:

أولًا: إن مفهوم تزكية النفس في القرآن دار بين معنى تطهيرها عن كل ما لا ينبغي، وزيادتها وإنماؤها في وجوه الخير والبِر.

ثانيًا: تكامل وسائل تزكية النفس في القرآن؛ حيث حققت أصل تزكيتها من تطهيرها من أوضار الشرك والمعاصي، وزيادتها وإنماؤها من كل برٍّ وفضيلة.

ثالثًا: عظم مكانة التزكية وموقعها بين مقاصد القرآن الكلية؛ حيث كانت من مقاصد بعثة الأنبياء والرسل، مرتبطة بها.

رابعًا: تعددُ ثمراتها ونفعها على العبد في دينه ودنياه وآخرته.

خامسًا: تتلخص وسائل تزكية النفس كما وردت -صريحة- في القرآن الكريم في تسع وسائل، وهي:

◈ الوسائل العقدية:

أ- توحيد الله ﷻ.

ب- الاستجابة لأحكام الله.

◈ الوسائل التعبدية:

أ- الصلاة والذكر.



ب- تلاوة القرآن وتدبره، وتعلم الحكمة وتفهمها.

ج- التوبة. د- بذل الصدقات.

◈ الوسائل الأخلاقية:

أ- عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا.

ب- عدم الثناء على النفس وتبرئتها.

ج- عدم اتباع خطوات الشيطان.

سادسًا: تنوع الوسائل المذكورة؛ يُفضي إلى القول بأنه متى ما وَجدت النفس استرواحًا في وسائلَ دون أخرى؛ فلتُكْثِر، ولا يمنعها أنها إذا لم تستطع أو ثَقُل عليها بعضها؛ أن تقف دون تزكيتها، بل تَسْتكثر فيما استروحت منه، وتُحاول فيما بقِي منها.

ومما ينبغي تأكيده -أخيرًا- أن كلَّ وسيلة من الوسائل المذكورة؛ تُحقق مقصد التزكية من مقاصد القرآن الكريم العليا، وهي في نفسها أيضًا تُحقق مقاصدَ قرآنية أخرى عظيمة؛ مما دارت عليه تلك الوسائلُ؛ من تحقيق التوحيد، وقصد الاتباع والاهتداء، وتهذيب الأخلاق، وغيرها.

والله أعلم وأحكم، فإن كان مِن خطأ فمن نفسي والشيطان، وإن كان من صواب فمِن الله وحده، وفضلِه وكرمه، وأسأله الهدايةَ والزكاء، وأن يغفرَ لي الزلل، ويعفوَ عن الخطل، وصلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين..

وآخرُ دعوانَا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.



المصادر والمراجع

١. «آثار ابن لمقفع (الأدب الكبير)». ابن المقفع، عبد الله (ت: ١٤٢هـ). ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢. «أحكام القرآن». الجصاص، أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام محمد شاهين. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣. «إحياء علوم الدين». الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ). (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤. «آداب النفوس». المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: ٢٤٣هـ). دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط٢، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥. «الأذكار». النووي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ). حقق نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبد القادر الأرناؤوط، طبعة خاصة للدكتور محمد فيَّاض البارودي، دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٦. «أسد الغابة في معرفة الصحابة». ابن الأثير الجزري، عز الدين علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ). تحقيق وتعليق: علي محمد معوَّض وآخرون. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (أضواء البيان)». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ). إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. (د.ط)، (د.م)، دار عالم الفوائد، (د.ت).

٨. «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (إغاثة اللهفان)». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.



٩. «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (اقتضاء الصراط المستقيم)». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق وتعليق: ناصر بن عبد الكريم العقل. ط٢، الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٠. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (أيسر التفاسير)». الجزائري، جابر بن موسى (معاصر). ط٣، جدة: راسم للداعية والإعلان، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١١. «الإيمان». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد بن ناصر الألباني. ط٥، عمان: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٢. «بصائر ذوي التمييز». الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ). تحقيق: محمد علي النجار. ط٣، القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣. «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، (د.م)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

١٤. «تاج العروس من جواهر القاموس (تاج العروس)». المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ). تحقيق: عبد الصبور شاهين، وآخرون. ط١، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥. «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تاريخ الإسلام)». الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ). حققه وضبط نصه وعلَّق عليه: بشار عوَّاد معروف. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٦. «التبيان في أيمان القرآن». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: عبد الله سالم البطاطي. ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

١٧. «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)». ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣م). (د.ط)، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م.



١٨. «تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي». الحرالي، علي بن أحمد (ت: ٦٣٨هـ). تصدير: محمد بن شريفة، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي. ط١، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩. «التعريفات». الجرجاني، علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٠. «تفسير ابن عثيمين -سورة البقرة». ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ). ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

٢١. «تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (إرشاد العقل السليم)». أبو السعود، ابن محمد العمادي (ت: ٩٠٠هـ). تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (د.ط)، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، (د.ت).

٢٢. «تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (جامع البيان)». الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر -عبد السند حسن يمامة-. ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٣. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤. «التفسير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم بن يونس (ت: بعد ١٣٩٠هـ). (د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

٢٥. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ). ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٦٤م.

٢٦. «تفسير المنار». رضا، محمد رشيد (ت: ١٣٥٤هـ). (د.ط)، (د.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٧. «تلبيس إبليس». ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). (د.ط)، بيروت: دار القلم، (د.ت).



٢٨. «**تهذيب اللغة**». الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون. (د.ط)، (د.م)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

٢٩. «**التوقيف على مهمات التعريف**». المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت: ١٠٣١هـ). تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٠. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تيسير الكريم الرحمن)**». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣١. «**الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (سنن الترمذي)**». الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٩٧هـ). تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض. ط٢، (د.م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣٢. «**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (الجامع لأحكام القرآن)**». القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٣. «**حاشية كتاب التوحيد**». ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٣٩٢هـ). ط٤، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٤هـ.

٣٤. «**دراسة في مقاصد القرآن الكريم**». القصراوي، مدحت ممدوح (معاصر). (د.ط)، (د.م)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (د.ت).

٣٥. «**زاد المسير في علم التفسير (زاد المسير)**». ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). ط١، بيروت: المكتب الإسلامي- دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٦. «**زهرة التفاسير**». أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ). (د.ط)، (د.م)، دار الفكر العربي، (د.ت).



٣٧. «سلم الوصول إلى طبقات الفحول». حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط. (د.ط)، استانبول: مكتبة إرسيكا، ٢٠١٠م.

٣٨. «السنن (سنن ابن ماجه)». ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: ٢٧٣هـ). حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون. (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

٣٩. «سنن أبي داود». السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ). حققه وضبط نصه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، طبعة خاصة، دمشق: دار الؤسالة العالمية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤٠. «سنن النسائي». النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (د.ط)، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. (د.ت).

٤١. «شرح كتاب زاد المستقنع». الشنقيطي، محمد المختار (معاصر). (د.ط)، كتاب إلكتروني، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

٤٢. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى البغا. ط١، (د.م)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤٣. «صحيح الترغيب والترهيب». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤. «صحيح الجامع الصغير وزياداته». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٥. «صحيح سنن ابن ماجه». الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٦. «صحيح سنن أبي داود». الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.



٤٧. «صحيح سنن الترمذي». الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٨. «صحيح مسلم». مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ). الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إسطنبول. (د.ط)، بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤هـ.

٤٩. «طبقات الحفاظ». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ). راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٥٠. «العبودية». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد زهير الشاويش. ط٧، بيروت: دار المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥١. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)». الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ). تحقيق وتعليق ودراسة: عاد أحمد عبد الموجود وآخرون. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٢. «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها». ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت: ٧٩٥هـ). ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.

٥٣. «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث صحيح البخاري (الكوثر الجاري)». الكوراني، أحمد بن إسماعيل (ت: ٨٩٣هـ). تحقيق: أحمد عزو عناية. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٥٤. «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ). تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي. (د.ط)، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

٥٥. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد. (د.ط)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



٥٦. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٠٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٧. «مدارج السالكين». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٥٨. «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (المعجم الاشتقاقي المؤصل)». جبل، محمد حسن (ت: ١٤٣٦هـ). ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م.

٥٩. «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ). حققه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي. (د.ط)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

٦٠. «معرفة الصحابة». الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ). تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦١. «مفاتيح الغيب». الرازي، فخر الدين محمد (ت: ٦٠٤هـ). ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٦٢. «المفردات في غريب القرآن (المفردات)». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

٦٣. «مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٤هـ). تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. (د.ط)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦٤. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (نظم الدرر)». البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ). (د.ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).

٦٥. «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. ط١، (د.م)، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.



٦٦. «**الوابل الصيب من الكلم الطيب (الوابل الصيب)**». ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: سيد إبراهيم. (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، (د.ت).

٦٧. «**الوافي بالوفيات**». الصفدي، صلاح الدين بن خليل (ت: ٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٨. «**الوجوه والنظائر في القرآن العظيم** (الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان)». مقاتل، ابن سليمان البلخي (ت: ١٥٠هـ). تحقيق: حاتم بن صالح الضامن. ط١، دبي: مركز جمعة الماجد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٦٩. «**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** (الوجوه والنظائر لهارون بن موسى)». الأعور، هارون بن موسى (ت: أواخر القرن الثاني الهجري)، تحقيق: حاتم بن صالح الضامن. (د.ط)، (د.م)، وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الآثار والتراث، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٧٠. «**الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز** (الوجوه والنظائر للدامغاني)». الدامغاني، الحسين بن محمد (ت: ٤٧٨)، تقديم وتحقيق: عربي عبد الحميد علي. (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).





فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٧

مقدمة ٢٩

مشكلة البحث ٣٠

أهمية الموضوع وأسباب اختياره ٣٠

أهداف البحث ٣٠

حدود البحث ٣١

الدراسات السابقة ٣١

منهج البحث وإجراءاته ٣٢

خطة البحث ٣٢

المبحث الأول: مفهوم التزكية ومكانتها وثمراتها ٣٤

المطلب الأول: التزكية في اللغة والاصطلاح ٣٤

المطلب الثاني: التزكية في القرآن الكريم ٣٦

المطلب الثالث: مكانة التزكية وثمراتها ٣٨

المبحث الثاني: وسائل تزكية النفس العقدية ٤٥

المطلب الأول: توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ ٤٥

المطلب الثاني: الاستجابة لأحكام الله ٤٩

المبحث الثالث: وسائل تزكية النفس التعبدية ٥٥

المطلب الأول: الصلاة والذكر ٥٥

المطلب الثاني: تلاوة القرآن وتدبره، وتعلُّم الحكمة وتفهمها ٥٩



المطلب الثالث: التوبة ٦١
المطلب الرابع: بذل الصدقات.................................. ٦٤
المبحث الرابع: وسائل تزكية النفس الأخلاقية ٦٧
المطلب الأول: عدم كتمان الحق والاشتراء به ثمنًا قليلًا ٦٧
المطلب الثاني: عدم الثناء على النفس وتبرئتها ٦٩
المطلب الثالث: عدم اتباع خطوات الشيطان.............................. ٧٢
الخاتمة ٧٥
المصادر والمراجع ٧٧
فهرس المحتويات ٨٥

